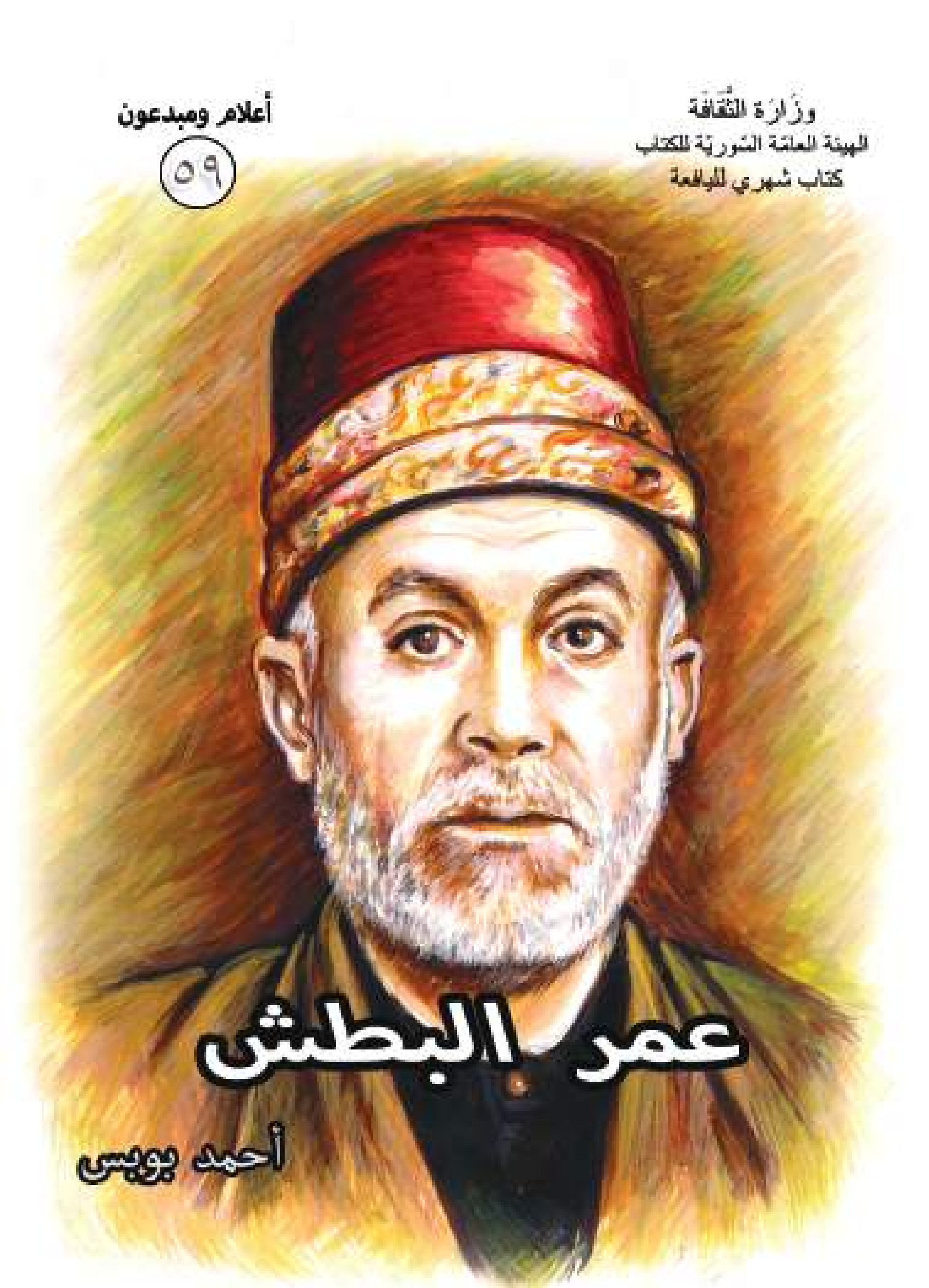


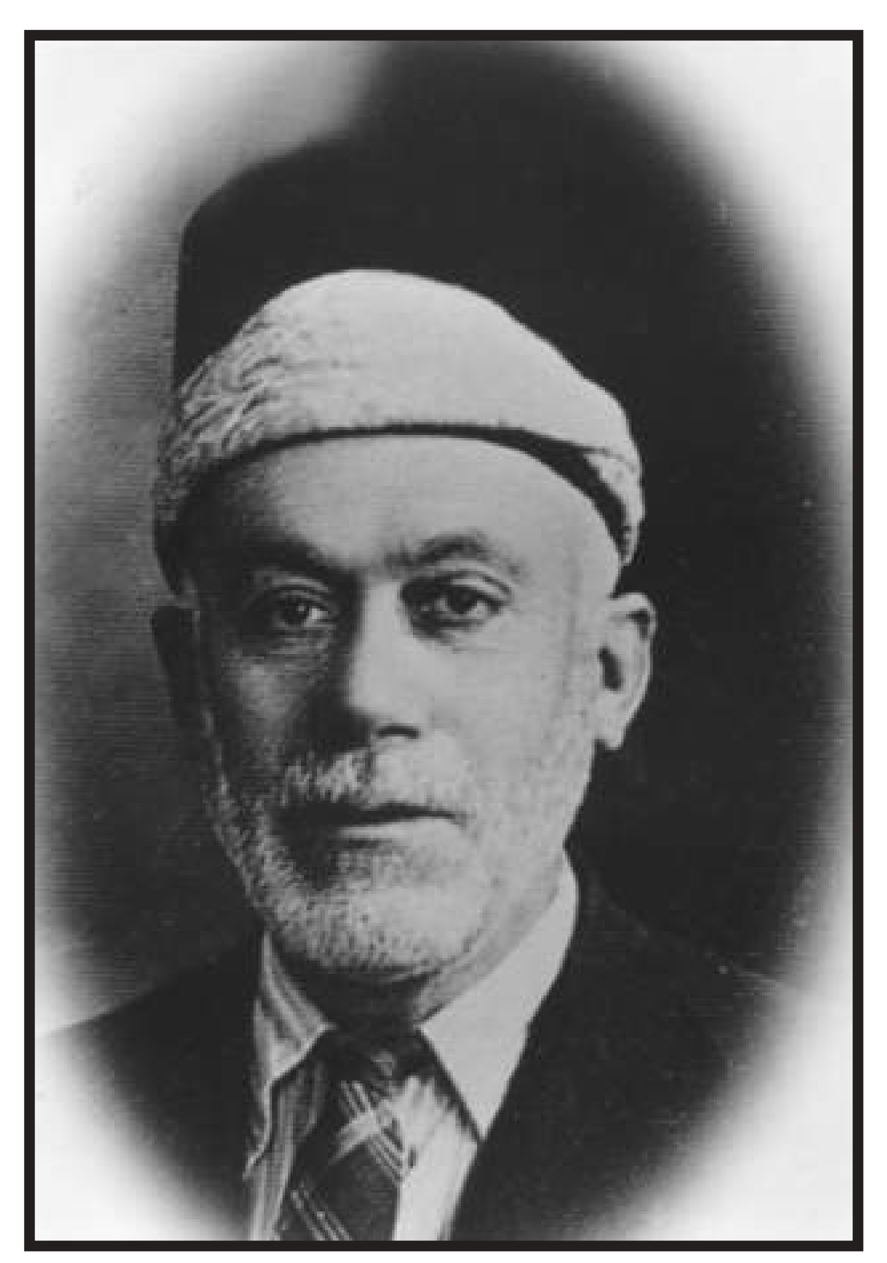
وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب
كتاب شهري لليافعة
أعلام ومبدعون
٥٩
عمر البطش
أحمد بوبس


الهيئة العامة
السورية للكتاب

عمر البطش

أحمد بوبس

الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب – مديريّة منشورات الطّفل
وزارة الثقافـــة – دمشق ٢٠٢٢م



تقديم

عمر البطش واحدٌ من أهم الموسيقيين السوريين في القرن العشرين، وهو ابن مدينة حلب، وسليل مدرستها الموسيقية العريقة. اختص بتلحين الموشحات، فأبدع فيها أيّما إبداع، وأثرى الغناء العربي بنحو مئة وثلاثين موشحاً، جمعت بين أصالة الموشح الأندلسي وروح العصر الذي عاش فيه، كما أبدع في رقص السماح، فطوّره، وصمم فيه حركات وتشكيلات جديدة، حتى ارتبط هذا النوع من الرقص باسمه.

عمر البطش عبقرية موسيقية لم تنل حقها في حياتها، ونأمل عبرَ هذا الكُتيب، أن يطلع الجيل الجديد من أبنائنا الفتيان والفتيات على عطاءات هذا الموسيقي الكبير ومسيرة حياته ومُوشّحاته التي تجمع بين المتعة الموسيقية والفائدة اللغوية، فالموشحات التي لحّنها

نُظِمَت كُلّها باللغة العربية الفصحى، شأنها شأن الموشحات جميعها في عهد الدولة الأندلسية في شبه الجزيرة الإيبيرية، منذ ما يزيد على خمسة قرون، حتى اليوم.

يُعَدُّ عمر البطش مدرسةً في الموشحات. تتلمذ على يديه كثيرٌ من الموسيقيين السوريين والعرب الذين برعوا في تلحين الموشح، ومنهم: سيّد درويش، وسعيد فرحات، والأخوان عدنان وزهير منيني... وبفضله عرفت دمشق رقص السماح الذي نقله البطش إليها على مرحلتين، وستبقى موشحاته الجميلة تُذكّرنا به وبعبقريته المدهشة.

اجتمعت الأسرة في غرفة الجلوس مساءً، وكلٌّ منهم مشغولٌ بأمر يهمه. الأم تحوك بصنارتيها رداءً صوفياً لها، استعداداً لفصل الشتاء الذي أصبح على الأبواب، وكنان يقرأ في مجلة أسامة التي اقتنى عددها الجديد صباحاً، وماهر يتواصل عبر هاتفه المحمول مع أصدقائه، أما الأب فقد جلس على الأريكة يُقلّب محطات التلفاز لعله يجد فيها شيئاً يسمعه، لكنه لم ينل مُبتغاه، فأمسك هاتفه المحمول، ودخلَ أحدَ مواقع الأغنيات الطربية التراثية على الشابكة، فانطلق صوتُ المطرب الراحل صباح فخري بأغنية مطلعها:

بين قاسيونٍ وربوة

قد رُبي هذا الغزال

ما لقلبي عنه سلوى

كيف أصنع يا رجال؟!

ليلي يا ليل! عيني يا ليل!

كيف أصنع يا رجال؟!

هل لوصل منه رجوة؟

أفصحوا لي بالمقال!

وبدأ أبو كنان يهتزُّ طرباً، وهو يستمع إلى الأنغام العذبة والكلمات الجميلة، وفجأةً توقّف كنان عن القراءة، وسألَ أباه:

– ما هذا الغناء الذي تستمع إليه يا أبي؟!

– إنه موشح بديع بصوت المطرب الكبير الراحل صباح فخري.

– وما الموشح؟

– الموشح قالبٌ غنائي عربي أصيل، ابتكره الأندلسيون لـمّا كانت الدولة العربية في الأندلس في أوج ازدهارها.

– وهذا الموشح هل وصلنا من الأندلس؟

- لا، يا كنان! هذا الموشح ليس من الأندلس. الموشح، في الأساس، انتقل من الأندلس إلى المشرق العربي بعد انهيار دولة الأندلس، وتأثّر به الموسيقيون العرب، فنسجوا على منواله، ولحّنوا موشحات جديدة، فأصبح لدينا عدد كبير من الموشّحات البديعة لمُلحّنين عرب معاصرين.

- ولمن هذا الموشح الذي تسمعه الآن؟

- هذا الموشح من تلحين موسيقيّ سوريّ عبقريّ اسمه عمر البطش.

- ومن صاحب كلمات الموشح؟

- الكلمات للزعيم الوطني فخري البارودي.

- لقد أثرتَ فضولي يا أبي! أرغبُ في أن أتعرّف أكثر إلى عمر البطش.

هكذا أبدى كنان رغبته في التعرف إلى الموسيقي عمر

البطـش، فأبـدى الأب سروره بهـذه الرغبـة، وبـدأ يقـصُّ حكايـة عمـر البطـش مـع الموسـيقا:

- عمـر البطـش موسيقـيّ حلبـيّ تخصّـص في تلحـين الموشـحات. وُلـدَ في حـي الكلاسـة الشـعبي بحلـب عـام ١٨٨٥م. في السـابعة مـن عمـره، أرسـله أبـوه إلى (الكتّـاب) ليتعلّـمَ مبـادئ القـراءة والكتابـة والحسـاب، وليحفـظَ القـرآنَ الكريـم ويُـجوِّدَه.

سأل ماهر: ما (الكتّابُ) الذي ذكرتَهُ يا أبي؟

أجـابَ أبـو كنـان: لم يكـن أيـام زمـان مـدارس تسـتقبل الأطفـال، فيتعلمـون فيها. كان في الحـارة أو في القرية رَجُـلٌ مُـتعلّـم، يُـخصّصُ غرفـةً مـن بيته يسـتقبل فيهـا الأطفال، ويُعلّمهـم القـراءة والكتابـة ومبـادئ الحسـاب، إضافـةً إلى تعليمهـم القـرآن الكريـم حفظـاً وتجويـداً، وكانـت هـذه الغرفـة تُسمّـى (الكتّـاب)، وكان هـذا الـمُعلّم يُسـمّى (شـيخ الكتّـاب).

ضحك كنان، وعلّق قائلاً: مثل الشيخ سعدو الذي نشاهده في التلفزيون؟

أجاب الأب: بالضبط. إنها لوحة تمثيلية جميلة يقوم بدور شيخ الكتّاب فيها الممثل الكبير الراحل عبد اللطيف فتحي، ويظهر فيها الممثل أنور البابا بدور (أم كامل) والممثل عبد الله النشواتي بدور (أبو شاكر الدوماني).

ثم تابعَ أبو كنان حديثه عن عمر البطش قائلاً:

بعد أن أتم الطفل عمر تعليمه في (الكتّاب)، أخذه والده إبراهيم البطش ليعمل معه في مهنته، وكان يعمل كلّاساً، يطلي واجهات البيوت بالكلس الأبيض، وبعد فترة من الزمن أخذه خاله بكري القصير ليعمل معه في مهنة البناء، ولمّا وجدَ لديه الأُذنَ الموسيقية والميول الفنية راح يصطحبه معه إلى حلقات الذِّكر والسهرات الفنية مع أصدقائه، وكان خاله ذا صوت جميل، ويتقن



عمر البطش يتوسط مجموعة موسيقيين

الإنشـــاد الدينـــي، وكان رئيـــس حلقـــة ذكـــر في إحـــدى الطـــرق الصوفيـــة. كان الطفـــل عمـــر يمتلـــك ذائقـــةً فنيـــة وقـــدرةً كبـــيرة عـــلى الاســـتيعاب وذاكـــرةً ممتـــازة، فحفـــظ كلَّ مـــا تلقّـــاه مـــن خالـــه ومـــا ســـمعه مـــن المنشـــدين في حلقـــات الذكـــر والزوايـــا الصوفيـــة، وفي الوقـــت عينـــه حفـــظَ كثـــيراً مـــن الموشـــحات، حتـــى بلـــغ عـــدد محفوظاتـــه منهـــا مـــا يزيـــد عـــلى ألفَـــيْ موشّـــح بكلماتهـــا وألحانهـــا.

تســـاءلت أمُّ كنـــان: لم يكـــن في زمانـــه وســـائل تســـجيل، فكيـــف حفظهـــا؟

أجـــابَ أبـــو كنـــان: كانـــت هـــذه الموشـــحات مُدوّنـــةً بكلماتهـــا وألحانهـــا وإيقاعاتهـــا عـــلى الـــورق، فحفظهـــا منـــه، وكانـــت تُجمَـــع في مجلـــدات يُســـمّى كلُّ مجلـــد منهـــا ســـفينة، وتضـــمُّ كلُّ ســـفينة خمســـمئة موشـــح، فحفـــظ البطـــش موشـــحات أربـــع ســـفن.

ولـــمّـــا شـــبَّ عمـــر البطـــش قليـــلاً تتلمـــذ عـــلى أيـــدي

كبار الموسيقيين في حلب، أمثال أحمد عقيل وأحمد الشعّار وصالح الجذبة، فتعلّم منهم العزف على آلة العود وعلى الآلة النفخية «البكلة» (البيكولا) وبعض الآلات الإيقاعية مثل الدفّ و«الدربكّة»، كما تعلّم منهم النوتة الموسيقية وأصول التلحين، ولا سيما الموشحات وإيقاعاتها وأوزانها.

سأل كنان: كيف كان يجمع بين العمل في البناء ودراسة الموسيقا؟

أجابَ الأبُ: كان يعمل في النهار لأجل تأمين متطلبات العيش، وفي المساء يتعلم الموسيقا. كانت حياته صعبة، لكنّ عشقه للموسيقا دفعه إلى تحمُّل هذه المعاناة.

قال ماهر: لقد بحثتُ الآن عن عمر البطش في الشابكة، ووجدتُ صورته. كان يرتدي الزيّ العربي، ويضع الطربوش على رأسه.

ردَّ الأب: نعم، هذا هو الزي الذي كان سائداً في أيامه. ما رأيكم في أن أُتابعَ سَرْدَ سيرة حياته.

عاد الجميع إلى الإنصات والاستماع، وتابع أبو كنان حديثه:

- في عام ١٩٠٥م استُدعيَ عمر البطش إلى الخدمة العسكرية أيام الحكم التركي، وأُلحِقَ بالفرقة الموسيقية العسكريّة عازفاً على آلة (البيكولا)، وفي الفرقة تعلّمَ المزيد من العلوم الموسيقية على أيدي الموسيقيين الأتراك، وبدأ بتأليف بعض المقطوعات الموسيقية للفرقة، ثم رُفِّعَ إلى رتبة (جاويش)، وفي تلك الفترة بدأ بتلحين بعض الموشحات. وفي عام ١٩١٢م شُكِّلت في حلب فرقة موسيقية بإشراف الموسيقي الحلبي علي الدرويش، ضمّت كبار الموسيقيين في حلب مثل محمد طيفور وعبدو بن عبدو وأحمد العطار، وكان عمر البطش أحد أعضائها، وكانت غاية الفرقة القيام

برحلة فنية إلى العراق لإحياء بعض الحفلات الفنيّة بدعوة من بعض الأندية الفنية في بغداد، ومن العراق سافرت الفرقة إلى إمارة المحمرة قرب شط العرب بدعوة من حاكمها الأمير خزعل لإحياء بعض الحفلات الفنية فيها، فقد كان الأمير خزعل من عشاق الغناء الأصيل، ولا سيما الموشحات، وقدّمت الفرقة في حفلاتها بعض ألحان عمر البطش من الموشحات، إضافةً إلى القدود الحلبية والمواويل والقصائد وبعض الموشحات من تلحين الشيخ علي الدرويش، واستمرت الفرقة في رحلتها نحو سنتين، حتى عام ١٩١٤م، وحقّق عمر البطش من هذه الزيارة مكسبين مُهمّين، أولهما ماديّ، إذ عاد بمبلغ جيّد من المال، وثانيهما فنّيّ، إذ توسّعت معارفه الموسيقية، واطلع على الغناء العراقي والخليجي والفارسي والهندي. وفي العام نفسه، زار حلبَ الموسيقيُّ المصري سيد درويش، فاتصل بعمر

البطش، وتعلّم منه أساليب تلحين الموشح وأوزانه وإيقاعاته، فكان أحد تلامذته، وقبلها لم يكن سيد درويش يعرف الموشحات. ومع بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، استُدعيَ عمر البطش إلى الخدمة العسكرية مرّةً ثانية، وكانت خدمته هذه المرة في دمشق، فاتصل به عددٌ من موسيقيّيها، وأخذوا عنه الموشحات وأوزانها وأصول تلحينها. وبعد تسريحه من الخدمة العسكرية، عاد إلى حلب، وكان قد أصبح في الثلاثين من عمره، فهجر مهنة البناء نهائياً، وتفرّغ للموسيقا، فعمل ضارباً للإيقاع في الفرق الموسيقية بحلب، ومن الفرق التي عزف ضمنها فرقة المطربة ماري جبران وفرقة المطربة زكية حمدان. وفي الوقت عينه، كان عمر البطش يتردد نهاراً إلى الزوايا الصوفية، ويُنشد فيها مقابل أجر، وكانت هذه الزوايا في ذاك الزمن في منزلة معاهد موسيقية يتعلم فيها الموسيقيون والمنشدون

أصول التلحين والغناء والمقامات والأوزان الموسيقية.

ومن الزوايا التي أنشد فيها (الزاوية العقيلية) التي كان يرأسُها خاله بكري القصير، ومن طلابه في هذه الزاوية الموسيقي حسن بصّال، كما أنشد عمر البطش، وعلّمَ الموسيقا في (الزاوية الرفاعية). وقد لحّنَ لهذه الزوايا مجموعة من الموشحات الدينية (التواشيح)، وأدخل تطويراً كبيراً في هذا النوع من الإنشاد الديني. وفي عام ١٩٤٠م أدّى فريضة الحج، وبعد عودته لحّنَ موشّحاً دينياً عنوانه «هام قلبي عندما ذُكِرَ النبي»، وهو موشح في مديح الرسول محمد صلى الله عليه وسلّم.

وهنا سألَ أبو كنان أفراد أسرته: ما رأيكم في أن نستمع إلى هذا الموشح؟

أجابت أم كنان بحماس: بكل سرور، فأنا أحب هذا النوع من الموشحات.

أمسك أبو كنان هاتفه المحمول، وبحث في الشابكة

عـن هـذا الموشـح، فانطلقـت فرقـةُ إنشـاد حلبيـة تصـدح بـه:

هـام قلبـي عندمـا ذُكِـرَ النبـي
دمعُ عينـي هـام شـوقاً لتلـك الدّيـار
محمـد... أحمـد... طـه
يـا طـه شـمس فلـك الأنـوار

ولـمّـا فرغـوا مـن الاسـتماع إلى الموشـح عـاد أبـو كنـان إلى حديثـه عـن عمـر البطـش:

- بعـد عـودة عمـر البطـش مـن الحـج، تـرك العمـل في المسـارح، وتفـرّغ لتدريـس الموسـيقا وتلحـين الموشّـحات، وكان يُـدرِّسُ الموشـحات في بيتـه. وفي عـام ١٩٣٦م دعـاه الزعيـم الوطنـي فخـري البـارودي إلى دمشـق ليُعلّـم طالبـات مدرسـة دوحـة الأدب أداءَ الموشـحات ورقـص السـماح، فلبّـى الدعـوة، وشـكّلَ فرقـةً مـن طالبـات دوحـة

الأدب، ودرّبَهُنّ على أداء الموشحات ورقص السماح، وقدّمت الفرقة عروضها في الحفل المدرسي نهاية العام الدراسي، ثم عاد البطش إلى حلب، وتابعَ نشاطه فيها. وفي عام ١٩٤٥م، أصيبَ بمرض في عينيه، وتفاقمَ المرض، حتى خشيَ فقدانَ بصره، فنظم بيتاً من الشعر تضرّعَ به إلى الله، يقول فيه:

ضياءَ عيني لا تغبْ عن عُمرْ
مدّاح طه المصطفى خير البشرْ

ومَنَّ الله عليه بالشفاء، فلحّنَ ذاكَ البيتَ الشعري، وفي مناسبة شفائه نظمَ ولحّنَ مُوشّحاً مطلعُه:

قلتُ لمّا غابَ عنّي
نورُ مرآكَ المصون
شفَّني والله سُقمٌ
فيه قد ذُقتُ المَنُون

وفي عام ١٩٤٦م، درَّسَ في المعهد الموسيقي الشرقي الذي أسسه الدكتور فؤاد رجائي في حلب، ومن طلاب البطش في حلب عبد القادر حجار وبهجت حسان اللذان تابعا بعد رحيل أستاذهما رسالته الفنية، فلحّنَ كلٌّ منهما مجموعةً بديعة من الموشحات. وفي عام ١٩٤٧م، بعد بدء إذاعة دمشق إرسالها، افتُتِحَ معهدٌ موسيقيّ تابع لها، وكان يشرف عليه فخري البارودي، فدعا عمر البطش ثانيةً ليُدرِّسَ في المعهد، فلبّى الدعوة، ودرّسَ الموشّحات ورقص السماح، ومن تلاميذه في المعهد الشقيقان عدنان وزهير منيني، وسعيد فرحات، وعمر عقاد خبير رقص السماح. وشكّلَ البطش فرقةً من طالبات جامعة دمشق، ضمّت أربعاً وعشرين طالبةً، ودرّبهنّ على أداء الموشحات وعلى رقص السماح، وقدّمت الفرقة حفلاً رائعاً على مدرج جامعة دمشق عام ١٩٤٩م، وفي هذا الحفل تعرّفَتْ

دمشقُ رقصَ السماح على نحوٍ واسع. وفي العام نفسه، أغلق المعهد الموسيقي في دمشق أبوابه، فعاد عمر إلى حلب، وكانت إذاعة حلب قد بدأت إرسالها حديثاً، وتولّى إدارتها فؤاد رجائي، وانضمّ البطش إليها خبيراً موسيقياً، وتولّى تدريب كَوْرَس الإذاعة على غناء الموشحات، وكان من أعضاء الكورس صبري مدلل وصباح فخري ومصطفى ماهر، كما عاد إلى التدريس في معاهد حلب، ومنها معهد الدكتور فؤاد رجائي ومعهد حلب للموسيقا بإدارة ماجد العمري.



في عـام ١٩٥٠م، بـدأت صحـة عمـر البطـش بالتدهـور، وسُرعـان مـا أُصيـبَ بالشـلل، ليرحـل عـن هـذه الدنيـا في يـوم الاثنـين الحـادي عـشر مـن كانـون الأول عـام ١٩٥٠م.

سـأَلَ ماهـرٌ بعـدَ أن ترحّـمَ عـلى عمـر البطـش: قلـتَ يـا أبي إنّ عمـر البطش لـحّـنَ كثـيراً من الموشـحات، لكننـا لم نتعـرّف إلا ثلاثـة منهـا، فـماذا عـن البقية؟

أجـابَ الأبُ: الاسـتماع إلى الموشـحات جميعهـا التـي لـحّـنها عمـر البطـش يحتـاج إلى سـاعات كثـيرة، لكننـي سـأتحدّث عنهـا باختصـار:

لـحّـنَ البطـش نحـو مئـة وثلاثـين موشـحاً، توزّعَـتْ بـين الموشـحات الطربيـة والموشـحات الدينيـة، ومـن أشـهر موشـحاته الطربيـة: «يمـرُّ عجْبـاً ويمـضي»، «يـا عُرَيْبـاً بالحمـى»، «قلـتُ لـمّـا غـاب عنـي»، «يـا ذا القـوام السـمهري» وغيرهـا موشّـحات كثـيرة سأرسـلها إليكـم في جـدول عـبرَ الشـابكة لتتعرّفُوهـا أكثـر.

سـألت أمُّ كنـان: الموشـحات التـي اسـتمعنا إليهـا جميعها باللغـة العربيـة الفصحـى، أليـس ثـمّـةَ موشـحات باللهجة العاميّة ؟

أجـابَ أبـو كنـان: إنّ الموشـحات جميعهـا باللغـة العربيـة الفصحـى، لأنّ نشـأةَ الموشّـح في الأندلـس كانـت هكـذا، واسـتمرّ كذلـك بعـد انتقالـه إلى المـشرق العـربي، وبذلـك فـإن الاسـتماع إلى الموشـحات فيـه المتعـة والطـرب والفائـدة اللغويـة.

كان كنـان أكثـر أفـراد الأسرة حماسـاً لمعرفـة المزيـد عـن عمـر البطـش، فقـالَ لأبيـه: ذكـرتَ أنّ عمـر البطـش كان يُـدرِّبُ عـلى رقـص السـماح. حدِّثنـا عنـه.

قـال الأبُ: حسـناً يـا كنـان! سـأُحدّثكم عـن رقـص السـماح، لكـنْ مـا رأيكـم في أن نشـاهدَ مقطعـاً عـلى الهاتـف المحمـول عـبر الشـابكة؟

وفتحَ أبو كنان مقطع فيديو عبر الشابكة، فظهرت مجموعةٌ من الشُّبّان والشابات يؤدون رقص السماح على أنغام الموشّحات، وبعد دقائق من الاستماع والمشاهدة، راحَ أبو كنان يشرح:

هذا هو رقص السماح. إنه رقصٌ حلبي يُؤدّى على ألحان الموشحات، وكان في الأصل رقصاً دينياً يُؤدّى في الزوايا الصوفية على أنغام الأناشيد الدينية، ويُؤدّيه الرجال فقط، ثم تطوّر هذا الرقص ليُصبحَ فناً شعبياً راقياً على أيدي الموسيقيين الحلبيين، وفي مقدمتهم صالح الجذبة الذي كان مُدرِّبَ رقص السماح في فرقة أبي خليل القباني رائد المسرح العربي الغنائي، ومن صالح الجذبة تعلّم عمر البطش رقصَ السماح، لكنه طوّرَهُ، وأشرَكَ فيه النساء، وأبدع حركاتٍ وتشكيلات جديدة، وجعله يُقدَّم على أنغام الموشحات الطربية.

التفت كنان إلى أبيه يسأله: من غنّى موشحات عمر البطش؟

أجابَ الأبُ: سؤال مهم يا كنان! هذه الموشحات مُسجّلة بأصوات كثير من المطربين الحلبيين، ومحفوظة في مكتبَتَي الأشرطة في إذاعتَيْ دمشق وحلب، ومن المطربين الذين غنّوا موشحات عمر البطش: المطرب الكبير الراحل صباح فخري، وصبري مدلل، ومحمد خيري، وحسن حفار، ومصطفى ماهر، وعمر سرميني، كما غنّت بعضها المطربة الحلبية سحر، وقَدَّمَتْ موشحاتِهِ مع رقص السماح فِرَقٌ كثيرة، كفرقة أميّة للفنون الشعبية وفرقة زنوبيا. ما رأيكم الآن في أن نستمع إلى موشح آخر من ألحان عمر البطش؟

علّقتْ أمُّ كنان قائلةً: أرجو أن يكون الموشح مصحوباً برقص السماح، فأنا أُحِبُّهُ كثيراً.

بحثَ الأب في الشابكة عن فيديو يحتوي حلقةً من

حلقات برنامج «نغم الأمس» الذي سجّله الراحل صباح فخري في قصر العظم بدمشق، فانطلق صوت المطرب يشدو:

يا مُعيرَ الغصن لين القدّ
عندما بالقدِّ مالْ
قد حلا بالحسن ورد الخدّ
وبمسك الخال خالْ
ما بقلبي منك حبّي
موضعٌ واللهِ خالْ

اهتزّ أفرادُ الأسرة لهذا الموشح طرباً، ولمّا لاحظ أبو كنان ذلك قال:

لهذا الموشح حكاية طريفة، سأرويها لكم. في عام ١٩٣٠م، زارَ حلبَ الموسيقار المصريّ الراحل محمد عبد الوهاب، وجمعته سهرةٌ بعدد من موسيقيّي حلب،

ومنهم عمر البطش وعلي الدرويش، وكان محمد عبد الوهاب واسع الاطلاع على الموسيقا العربية، ويعلم أنّ الحلبيّين لا يُلحّنون موشحات على مقام السيكاه، لأنه يصلح للأغنيات الشعبية، ولا يليق بالموشح أن يُلحَّنَ عليه، فهو أرقى ألوان الغناء العربي، وأراد عبد الوهاب اختبار الموسيقيين الحلبيين أو إحراجهم، فسألهم:

لم أسمع لديكم موشحات من مقام السيكاه، فهل لديكم منها؟

أجاب عمر البطش وسط دهشة الموسيقيّين الحلبيّين الآخرين:

نعم، لدينا كثير.

وطلب محمد عبد الوهاب أن يُسمِعُوهُ بعضَها، فأجابه عمر البطش:

لدينا في حلب لكُلِّ مقام وقتٌ مُحدّد نستمع فيه

إليه، ونحن الآن في آخر الليل، ومقام السيكاه نستمع إليه في أول الليل، لذلك سأُسْمِعُكَ في أول سهرة الغد موشحات من مقام السيكاه.

وبعد انتهاء السهرة، غضب علي الدرويش، وقال لعمر البطش:

كيف تعده بأن تُسمعه موشحات من مقام السيكاه، وليس لدينا منها؟!

ردَّ عمر البطش هادئاً مُبتسماً: أليس من المعيب أن يزورنا محمد عبد الوهاب، ويطلب موشحات من مقام السيكاه، فنقف أمامه عاجزين، ونحن شيوخ هذا الفن؟! لقد أراد عبد الوهاب اختبار قدراتنا الموسيقية، وأنا سأتصرّف.

وانفضّت السهرة تلك الليلة، لكنّ عمر البطش لم ينم، وفي منتهى العبقرية لحّنَ ثلاثة موشحات من

مقام السيكاه. الموشح الأول «يا معير الغصن» الذي استمعنا إليه قبل قليل، والموشح الثاني «رمى قلبي رشا أحور»، ومطلعه:

رمى قلبي رشا أحورْ

بأهداب العيون السُّودْ

ومعسول اللمى كوثرْ

ولكنْ ليس بالمورودْ

والموشح الثالث «حدِّثي يا وُرْقُ عنّي»، ومطلعه:

حدِّثي يا وُرْقُ عنّي

واشرحي شرحَ الغرامْ

إنّي عاشق إنّي مغرمْ

في هوى بدر التمامْ

وفي سهرة اليوم التالي، أسمعَ عمرُ البطش محمد عبد الوهاب الموشحات الثلاثة، فبُهِتَ عبد الوهاب لمقدرة

البطش الموسيقية، لأنه أدرك بحدسه أنّ هذه الموشحات جديدة، وأنّ عمر البطش لحّنَها بعد سهرة الأمس ليردَّ بها على اختباره إيّاه.

سأَل كنان: سمعتك تقول: مقام السيكاه. ما هذا الاسم الغريب؟!

وتساءلت الأمّ: أسمعهم في البرامج الموسيقية يقولون: هذه الأغنية من مقام الرصد، وهذه الأغنية من مقام النهوند... ما أصل هذه التسميات؟

أجاب أبو كنان: سأوضح ذلك. أسماء هذه المقامات إما فارسية، وإما تركية، وإما عربية، لأنّ هناك تاريخاً مشتركاً وطويلاً لموسيقا الشعوب الثلاثة: الفارسية والتركية والعربية، ومن المقامات عربية الأسماء: الصّبا والحجاز والبيات.

عادت أم كنان لتسأل من جديد: أسمعهم في البرامج

الموسيقية يُقدّمون وصلةً من الموشحات على مقام الرصد أو البيات أو غيرهما، فماذا يعنون بذلك؟

أجاب أبو كنان: يلجأ الملحنون أحياناً إلى تلحين عدد من الموشحات على مقام موسيقيّ واحد، يُقدّمه المطرب أو الفرقة الغنائية على نحوٍ مُتتالٍ دون توقُّف بين المُوشّح والذي يليه، وتُسمّى هذه الموشحات «وصلة».

وهنا سألَ ماهر: هل لحّنَ عمر البطش وصلات من الموشحات؟

أجابَ أبو كنان: بالتأكيد، لحّنَ كثيراً من وصلات الموشحات، كتلحينه وصلة موشحات على مقام الزنجران، وهو صعبٌ جداً، لذلك يتجنّبه الموسيقيون، وقد ضمّت وصلة عمر البطش هذه، ثلاثة موشحات: الموشح الأول نظمه منير العمادي، ومطلعه:

إذا دعانـا الصبـا هببنـا

وكلُّنـا سـامعٌ مُـجيبْ

نُصـارعُ الـكأسَ لا نبـالي

مـا يكتـمُ الدهـرُ والغيوبْ

والموشح الثاني:

طـابَ يـا محبـوبُ شُربي

وشـميمُ الـورد فـاحْ

أمّا الموشح الثالث فيقول:

وجـدي نـمـا

شـوقي سـمـا

ولـحّـن أيضـاً وصلـة موشـحات عـلى مقـام النهونـد، ضمّـت أيضـاً أربعـة مُوشّـحات: الموشـح الأول:

بـدرُ حُسـنٍ زارْ

أخجـلَ الأقـمارْ

والموشح الثاني:

يــا ناعــسَ الأجفــانْ
حُبّــك كــوى كبــدي
كفــى بنــا هجــرانْ
قــد ذُبــتُ مِــنْ وجــدي

والموشح الثالث:

سُبــحانَ مَــنْ صــوَّرَ حُســنَكْ
وفي البهــا زادك رفعــةْ

والموشح الرابع يقول:

يــا مُنــى قلبــي صِلْنــي
واطــفِ لي نــارَ لهيبــي
ومِــنْ نبالــكَ أجــرني
يكفــي يــا روحــي نحيبــي

وعلى مقام حجاز كار كرد لحّنَ وصلة موشحات بديعة، ضمّت ثلاثة موشحات: الموشح الأول:

يا ذا القوام السمهري

حلو الرضاب السكري

عن ثغره الزاهي اللمى

والموشح الثاني:

عذِّبُوني ما استطعتمْ عذِّبوا

فعذابي في هواكمْ يعذبُ

أما الموشح الثالث فيقول:

في الروضِ يختالُ الجميلْ

كالغُصنِ يزري بالنسيمْ

ثم اقترح أبو كنان أن يستمعوا إلى الوصلة الأخيرة، فهي تضمُّ أجملَ موشّحات عمر البطش.

وهنا علّقَ ماهر: أنا موافق، لكنْ بصوت المطرب الكبير الراحل صباح فخري.

ابتسم أبو كنان، وبحث في الشابكة، فوجد التسجيل المطلوب، وانطلق صوت صباح فخري يصدح: «يا ذا القوام السمهري»، وأخذ الجميع يتمايلون طرباً، وبعد انتهاء الوصلة، سألت الأمُّ: ألم يُلحّن عمر البطش غير الموشّحات؟

أجابَ أبو كنان: بلى، لحّنَ ثلاثة أدوار.

سألَ ماهر: وما الدور؟

أجاب الأب: الدور من أنواع الغناء العربي، وهو قالبٌ مصريّ ابتكرَهُ الموسيقيّ المصري محمد عبد الرحيم المسلوب في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، ولم يُلحّن في قالب الدور من الموسيقيّين السُّوريين إلا قلائل، منهم الموسيقيّ الحلبيّ بكري الكردي.

سألَ كنان: وما الأدوار التي لحّنها عمر البطش؟

أجابَ الأبُ: هي ثلاثة أدوار فقط: «يا قلبي ما لك

والغـرام»، و«يـا قلبـي افـرحْ نلـت المـرام»، و«أنـا لا أسـلو الحبيـب».

وهنـا طلـب كنـان إلى أبيـه أن يُسـمِعَهم أحـدَ هـذه الأدوار، فأجـابَ الأبُ:

لا تتوافـر تسـجيلات لهـذه الأدوار، لكـنْ إذا رغبـت أسـمعتُك دوراً لـموسيقـيّ آخـر.

وهنـا طلبـت أمُّ كنـان أن تسـمع دور «يـا مـا نـت واحشـني»، فبحـث أبـو كنـان في الشـابكة عـبرَ هاتفـه المحمـول عـن هـذا الـدور، وانطلـق صـوت المطـرب صبـاح فخـري يصـدح:

يـا مـا نـت واحشـني وروحـي فيـك

يـا مآنـس قلبـي لمـين أشـكيك

اشـكيك لـلي قـادر يهديـك

ويبلّـغ الصابـر أملـه

ثـمّ سألَ كنان أباه: من مُـلـحّـن هذا الدور؟

أجـاب الأبُ: الــموسيقي المـصري محمـد عثـمان الـذي لـحّـــنَ أجمـلَ الأدوار في الغنـاء العربـــيّ، وعـاش في النصف الثـاني مـن القـرن التاسـع عـشر، وتُوفّــي عـام ١٩٠٠م.

علّـقَ ماهـر عـلى الـدور، قائـلاً: الـدور غنـاءٌ مُـــملٌّ وبطـــيء الإيقـــاع.

قاطعته أمُّه: الدور غناءٌ عربـيّ أصيل غنيٌّ بالطرب.

وحســم أبــو كنــان النقــاش قائــلاً: دعونــا نَعُــد إلى عمــر البطــش.

ســألت أم كنــان: ألـــم يُلــحّـــن عمــر البطــش في غـير الموشـــح والـــدور؟

أجــاب أبــو كنــان: لا، أبــداً. لقــد كان مخلصــاً لقالــب الموشـح، فأبـدع أجمـل الموشـحات، أمـا الـدور فلـحّـــنَ فيه كـي يُثبـت مقدرتـه في التلحـين.

سأل ماهر: قلت لنا: قالب الموشح وقالب الدور. هل ثمّة قوالب أخرى للغناء؟

أجاب الأبُ: بالتأكيد، ثمّة قوالب (أشكال) عدّة للغناء العربي، ومنها: الطقطوقة، والمونولوغ، والموّال، والقصيدة التي تكون باللغة العربية الفصحى.

سألَ كنان: من أين أتت عمر البطش هذه العبقرية الموسيقية كلّها؟

أجابَ الأبُ: حدّثتُكم عن دور خاله بكري القصير في ذلك، ولكنْ كانت هناك مُؤثّرات أُخرى، فقد كانت حلب حينَ نشأته مركزاً مهماً للغناء العربي، وكان يزورها كبار المطربين السوريين والعرب، أمثال سلامة حجازي، وأم كلثوم، ومحمد عبد الوهاب، وماري جبران، وزكية حمدان، ونجاح سلام، وغيرهم... ويقيمون الحفلات فيها، وكان في حلب موسيقيّون كبار أمثال علي الدرويش، وأحمد عقيل، وأحمد الفقش،

ومصطفى الحريري، وغيرهم... وقد تأثّر عمر البطش بهم بعد سماعه ألحانهم، كما تتلمذَ على أيدي بعضهم.

خاطبت أم كنان زوجها قائلة: حدّثتَنا عن الجوانب الفنية في حياة عمر البطش، لكنك لم تحدثنا شيئاً عن حياته بعيداً عن الموسيقا.

أجاب أبو كنان: معك حق. الجوانب الموسيقية الغنية في حياته أخذتنا معها، أمّا على الصعيد العائلي فقد تزوّج عمر البطش، لكنه لم يُنجب أطفالاً، وبعد أن ترك مهنة البناء افتتح دكّاناً لبيع المواد الغذائية، وكان يعيش بالكفاف، ويعاني من الفقر أحياناً لأن عشقه للموسيقا كان يدفعه إلى إهمال دكانه، ولم تكن الموسيقا تدرُّ عليه دخلاً يجعله يعيش حياةً ميسورة. فقط في السنوات الأخيرة من عمره عاش حياةً ميسورة، فقد عمل في إذاعة حلب، وتقاضى منها راتباً جيداً، ثم لمّا جاء إلى دمشق للتدريس في المعهد الموسيقي الشرقي أسكنه

فخري البارودي مجّاناً في منزل يملكه، وخصّص له راتباً جيداً. ومن الحكايات التي تُروى عن فقر عمر البطش، أنه صادف مرّةً في الطريق تلميذه المطرب عبد الوهاب الصباغ الذي تعلّم منه فن الموشح، فسأله البطش:

إلى أين أنت ذاهبٌ يا عبد الوهاب؟!

أجاب عبد الوهاب: إلى منزل أحد الأصدقاء، مدعوّاً إلى العشاء.

فقال له البطش: خذني معك، ومقابل العشاء أُغنّي لكم.

علّقت أمُّ كنان: مسكين! كانت حياته كلها معاناة كحياة غالبيّة عباقرة الموسيقا في زمانه.

قال أبو كنان: لم يكن همهم جمع المال، بل إبداع الروائع في الموسيقا والغناء.

سأَلَ ماهر: هل توقّفَ تلحينُ الموشحات بعد وفاة عمر البطش؟

أجاب أبو كنان: لا، يا بُنيّ! كان ثمّة مُلحّنون آخرون، مثل علي الدرويش وأحمد عقيل... لكن لم يكن إبداعهم في الموشح في حجم إبداع عمر البطش، ثم إنه خلّف بعد رحيله عدداً من تلاميذه الذين تعلّموا منه تلحين الموشحات في المعاهد التي درّسَ فيها بدمشق وحلب، وتابعوا المسيرة بعده، ففي حلب ذكرتُ لكم عدداً منهم، مثل بهجت حسّان، وعبد القادر حجار، وفي دمشق سعيد فرحات، وعمر عقاد، والأخوان عدنان وزهير منيني، وهؤلاء نقلوا الموشحات إلى أجيال أُخرى، مثل عدنان أبو الشامات ومحمد محسن، لكنْ لم نجد من تصدّى لتلحين الموشّحات بعد هؤلاء.

سألت أمُّ كنان زوجها: قلت إن سيد درويش تعلّمَ تلحين الموشح في حلب من عمر البطش. هل ثمّة في

مصر وغيرها من البلدان العربية من يُلحّن الموشّح؟

أجاب أبو كنان: بالتأكيد، ثمّة في مصر الشيخ محمد عبد الرحيم المسلوب وكامل الخلعي وسلامة حجازي، وفي فلسطين روحي الخماش ويحيى السعودي، وفي لبنان سليم الحلو وتوفيق الباشا، وفي دول المغرب العربي ازدهر الموشح، وفيها كثير من الموسيقيين الذين لحّنوا الموشحات.



عمر البطش يتوسط تلاميذه

سأَلَ كنان: أليس ثمّةَ أنواع أخرى من الغناء في الأندلس غير الموشّحات الأندلسية؟

أجاب الأب: بالتأكيد، هناك النوبات الأندلسية التي ابتكرها الموسيقي الأندلسي العبقري زرياب، لكنّ هذا النوع من الغناء الأندلسي لم يصل إلينا في المشرق العربي، بينما وصل إلى المغرب العربي، لأن الهجرات العربية الرئيسة بعد سقوط دولة الأندلس كانت إليه.

وهنا اختتم أبو كنان حديثه، بعد سهرة ممتعة قضاها أفراد الأسرة في تَعرُّف الموسيقيّ السوري المبدع عمر البطش، وما لبث أن قال:

سأرسلُ إلى كُلٍّ منكم عبرَ الشابكة جدولاً بأهم الموشحات التي لحّنها عمر البطش مع اسم أحد المطربين الذين غنَّوا الموشّح، لعلّكم تريدون أن تستمعوا إليها.

قالــت أمُّ كنــان مُعقِّبــة: كانــت جلســة جميلــة ومفيــدة، وأرجــو أن نمــضي ســهرات أُخرى نتعــرّف فيها شــخصيات أدبيــة وفنيــة، ســورية وعربيــة.

قــال أبــو كنــان: ســيكون ذلــك، وســنتحدث في الأســبوع القــادم عــن شــخصية أحبهــا... والآن تصبحــون عــلى خــير.

جدول بأشهر موشّحات عمر البطش

الـموشّح	كاتب الكلمات	الـمُغنّـي
العقلُ حار	شعر قديم	فتى دمشق
إن طال جفاك يا جميل!	شعر قديم	صباح فخري
بدرُ حُسنٍ زار	شعر قديم	خالد حافظ
بصفات جعلتني هائماً	شعر قديم	فتى دمشق
بلبلُ الروض غنّـى	شعر قديم	نادرة الشامية
بين قاسيون وربوة	فخري البارودي	صباح فخري
حدِّثي يا وُرقُ عنّـي	شعر قديم	ياسين محمود
حسنك النشوان	فخري البارودي	حسن حفار
داعي الهوى قد صاح	شعر قديم	صباح فخري
رقّوا لمجروح الهوى	شعر قديم	محمود فارس
رمى قلبي رشا أحور	شعر قديم	محمد خيري
زارني تحت الغياهب	شعر قديم	مصطفى ماهر

سبحان من صوّرَ حُسنك	شعر قديم	عبد الرحمن عطية
صاح قم للحان	شعر قديم	حسن حفار
طاب يا محبوبُ شُربي	شعر قديم	عبد القادر حجار
طالَ عمرُ الليل عندي	شعر قديم	عبد الرحمن عطية
طلعة البدر المنير	شعر قديم	المجموعة
عذِّبوني ما استطعتم	شعر قديم	صباح فخري
عشق الجمال	شعر قديم	فتى دمشق
عطفاً يا جيرة الحرم!	شعر قديم	فتى دمشق
فتّاكة اللحظ	فؤاد رجائي	عبد القادر حجار
في الروض أنا شفت الجميل	شعر قديم	صباح فخري
قلتُ لـمّـا غابَ عني	عمر البطش	مصطفى ماهر
قم يا نديم املا وهيم	شعر قديم	صباح فخري
مبرقع الجمال	شعر قديم	حسن حفار
مفرد الحسن المبين	شعر قديم	مصطفى ماهر

منيتي من رمت قُربَه	شعر قديم	عبد الرحمن عطية
هذي المنازل	شعر قديم	صباح فخري
يا ذا القوام السمهري	شعر قديم	صباح فخري
يا عُريباً	شعر قديم	سحر
يا عيوناً راميات	شعر قديم	حسن حفار
يا قوام البان	شعر قديم	حسن حفار
يا مالكاً مني فؤادي!	شعر قديم	صفوان العابد
يا معير الغصن!	شعر قديم	صباح فخري
يا من رماني بالسهام!	شعر قديم	المجموعة
يا ناعس الأجفان!	شعر قديم	حسن حفار
يمر عجباً ويمشي	شعر قديم	صباح فخري

أحمد بوبس:

- إعلامي وكاتب وشاعر.

- إجازة في الرياضيات من جامعة دمشق.

- أعد كثيراً من الأفلام الوثائقية والبرامج للتلفزيون العربيّ السُّوريّ.

- له ثمانية عشر كتاباً، منها:

* ثلاث مجموعات شعرية: «كتابات في ضوء القمر»، «لعينيك آت»، «بيروت موسم النزيف».

* كتاب «حي الميدان الدمشقي».

* مبدعو الألحان السورية في القرن العشرين.

* سامي الشوا – أمير الكمان.

* حكمت محسن.

* عبد اللطيف فتحي.

* دليل الصحافة السورية.

سلسلة أعلام ومبدعون

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	حنّا مينة	د. شوقي المعري
٢	سهيل عرفة	محمود يوسف
٣	محمد الفراتي	أسعد الديري
٤	عزيزة هارون	عيسى فتوح
٥	جودة الهاشمي	د. هشام الحلاق
٦	تيسير السعدي	وفيق يوسف
٧	أمين بن عبد العزيز الخياط	أحمد المفتي
٨	د. مسعود بوبو	د. محمد قاسم
٩	د. عبد الكريم اليافي	جمانة نعمان
١٠	النهضوي الزهراوي	خليل البيطار
١١	محمد وليد مارديني	إيمان مارديني
١٢	عبد الرحمن الكواكبي	محمود يوسف
١٣	نديم محمد	منذر يحيى عيسى
١٤	قمر كيلاني	لينا كيلاني

١٥	محمد الماغوط	ناظم مهنا
١٦	الدكتور سامي الدروبي	بثينة الخير
١٧	الفراهيدي	بيان الصفدي
١٨	رياض الصالح الحسين	نذير جعفر
١٩	زكي الأرسوزي	إسماعيل الملحم
٢٠	رضا سعيد	أحمد بوبس
٢١	عبد السلام العجيلي	د. علياء الداية
٢٢	فاخر عاقل	ديب علي حسن
٢٣	أبو خليل القباني	هناء أبو أسعد
٢٤	فؤاد الشايب	عيسى فتوح
٢٥	صدقي إسماعيل	محمود يوسف
٢٦	عيسى عصفور	مطيع حمزة
٢٧	بدر شاكر السيّاب	بيان الصفدي
٢٨	ممدوح عدوان	ناظم مهنا
٢٩	هاني الراهب	حسام الدين خضور

٣٠	صياح الجهيم	موفق نادر
٣١	ممتاز البحرة	رامز حاج حسين
٣٢	شاعر الشام خليل مردم	سيف الدين القنطار
٣٣	عبد القادر عياش	سراج أحمد الجراد
٣٤	سعد الله ونوس	جوان جان
٣٥	حيدر يازجي	أريج بوادقجي
٣٦	نعيم اليافي	د. أحمد علي محمد
٣٧	سعيد حورانية	حسن م. يوسف
٣٨	وصفي القرنفلي	مصطفى الحسون
٣٩	سعد صائب	سراج أحمد الجراد
٤٠	ألفة الإدلبي	د. محمد العنيزان
٤١	محمد عمران	منصور حرب هنيدي
٤٢	محمد محفل	ناظم مهنا
٤٣	شكيب أرسلان	د. جمال أبو سمرة
٤٤	عبد الغني العطري	عيسى فتوح

٤٥	عبد الرزاق جعفر	سراج أحمد الجراد
٤٦	فاتح المدرس	حسن م. يوسف
٤٧	فريد الأطرش	د. فايز الداية
٤٨	نهاد قلعي	هناء أبو أسعد
٤٩	دلال حاتم	قحطان بيرقدار
٥٠	عبد الباسط الصوفيّ	د. جمال أبو سمرة
٥١	بندر عبد الحميد	بيان الصفدي
٥٢	نزيه الشهبندر	علي العقباني
٥٣	سعيد الأفغاني	د. محمد قاسم
٥٤	عبد المعين الملوحي	ناظم مهنا
٥٥	نزار قبّاني	د. نزار بريك هنيدي
٥٦	سلامة عبيد	ضحى عبيد
٥٧	جان ألكسان	هناء أبو أسعد
٥٨	العلامة محمد كرد علي	سراج أحمد الجراد
٥٩	عمر البطش	أحمد بوبس

هذا الكُتيّب عن الموسيقيّ السُوريّ الكبير عمر البطش، الرائد الأول في تلحين المُوشّح، لحّنَ أكثر من مئة موشح، وهي بحقّ من روائع المُوشّحات العربيّة، كما أبدع في رقص السماح، فابتكر فيه تشكيلات وحركات جديدة، وجعله يرافقُ غناءَ المُوشّحات.

الكُتيّب يُقدّم إلى الأجيال الناشئة حياةَ هذا الموسيقيّ الكبير وإبداعاته الموسيقيّة في إطار قصصيّ حواريّ جميل.





www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب- ٢٠٢٢م

سعر النسخة ٢٥٠ ل.س أو ما يعادلها